قاسم سلطان

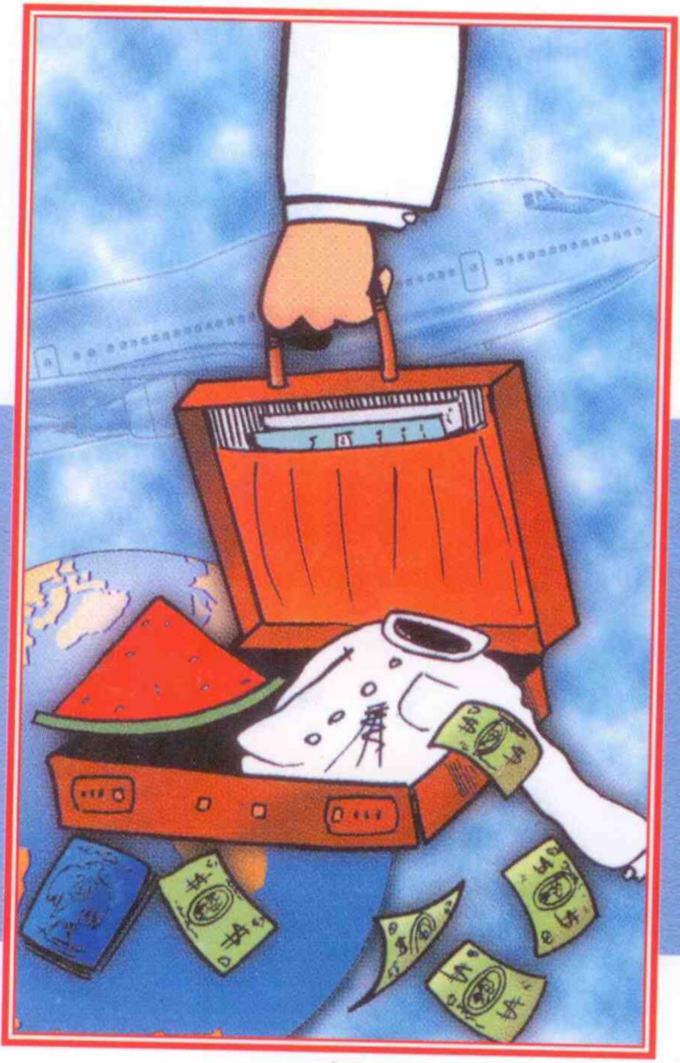

نوادر في محطات سفر

نوادر
في محطات سفر

اصدار مركز المعلومات للدراسات والبحوث

اشراف:
سعيد حمدان

الاخراج الفني :
طارق راشد العامر

هاتف: 444400 - 4064406
فاكس:445257 -4064234

e - mail : info@albayan.co.ae

الطبعة الاولى
1999
جميع الحقوق محفوظة

قاسم سلطان

نوادر
في محطات سفر

الفهرس

كلمة الناشر 7
المقدمة 9

الفصل الأول

حكايات لا تنسى.. في المطارات 13
رب (صورة) خير من ألف ميعاد 15
.. ورقة ناقصة 19
السجادة بين الضابط والعشرة آلاف دولار 23
حقيبتي ورصاص البندقية 27
مستقبل الطيران... والسمك المدخن 31
كم اشتقت إلى الشارقة 35

الفصل الثاني

نوادر رسمية..!! 41
جاسوس «البطيخ»! 43
«الروتين»... ظالم أم مظلوم؟ 47
جيران .. ولكن! 51
(اللخبطة) الشرقية والريجيم الأوروبي 55

الفصل الثالث:

نوافذ على العالم 59
الحسناوات .. و(البدل) الجميلة 61
المارد الخفي وقشور البطيخ 65
الانسان عجول 69
أمن الفرد أم أمن المجتمع؟ 73
شرطة.. ومخالفات.. 77
تلك التى احببتها 81

في اطار نشاطها الثقافي والمعرفي تحرص «البيان» على تقديم سلسلة من الكتب والاصدارات والترجمات في مختلف المعارف والعلوم، وفي ظل ثورة المعلومات والزخم الاعلامي يقوم مركز المعلومات للدراسات والبحوث بتقديم سلسلة من الاصدارات الجديدة والنوعية التي ترفد المكتبة الوطنية والعربية بكتب ومؤلفات تحوي المعلومة الجديدة والكلمة الصادقة والرؤية العقلانية مع ادراكنا بقدرة القارىء على الوصول الى الخاص من العام كون القضايا المطروحة لصيقة بحياته وبحركته الثقافية وطموحاته وهمومه.

ان المركز وهو يتابع مجريات التطور العلمي التقني ومسارات الاحداث وتفاعلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية يسعى لتقديم جديد سلسلة «كتاب البيان» بشكل منتظم وتكثيف اصداراته في مختلف جوانب المعرفة مع الحرص على اختيار الكاتب الجيد والعمل المتميز.

وقد حدد المركز ضمن اهدافه ضرورة دعم المكتبة الوطنية وتشجيع الكتاب المواطنين والمؤلفات التي تتحدث عن الامارات وتناقش قضايا تربوية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

لقد لاقت هذه الاصدارات صدى طيباً لدى القارىء العربي الامر الذي تطلب تقديم طبعة ثانية وثالثة لبعض تلك المطبوعات، وتحرص «البيان» ايضاً على تقديم نتاج نخبة من الكتاب والمفكرين العرب الذين يساهمون في تنمية الوعي المجتمعي وبما يعزز من دور الثقافة العربية في صياغات واعتمالات الفكر الانساني عموماً.

الناشر

مقدمة

عندما نشاهد مباراة في كرة القدم نتحمس كثيرا ونشجع الفريق الذي نحبه لدرجة التطرف ولا تخلو متابعتنا من توتر وانفعال. وربما عدم ظهور أحد لاعبينا المفضلين بالمستوى المطلوب يجعلنا تارة نفقد شهية المتابعة، وتارة اخرى تعلو اصواتنا، وتنقلب عواطفنا عندما يضيع هذا اللاعب هدفا امام مرمى الخصم وننعته بكل الصفات، ونردد تلك الجملة الشهيرة: لو كنت مكانه لفعلت كذا وكذا ولأحرزت عدة أهداف من هذا الموقع.

ولأننا لسنا في موقع ذلك اللاعب نستسهل الامر، وهكذا

دائماً في كل امور حياتنا كل منا يرى انه يستطيع ان يحقق معجزة لو كان مكان الآخر وذلك طبعاً لأننا في موقع المتفرج ولسنا في موقع **المنقذ**. وعلى سبيل المثال عندما اقترح عليّ الاخوان في جريدة (البيان) الكتابة في الاستراحة، بتشجيع منهم استمريت في ذلك وأنا أعي تماما بأنني لست كاتباً ولا أدعي بأن عندي المقدرة على ذلك، بل ان ما اكتبه ليس الا تجارب ومواقف أريد ان اشارك القراء فيها، ومع الاستمرار في الكتابة أدركت مدى صعوبة إرضاء جميع الأذواق.

فمثلا بعد كل موضوع ينشر أتلقى وجهات نظر مختلفة وآراء متضاربة ومتباينة من الأخوة والأصدقاء وكذلك من بعض القراء، وأدركت تماما بأنه ليس بالضرورة كل ما يكتب من مواضيع يتقبله الجميع، ثم أدركت انني كنت استسهل مهام الكتاب الذين هم مطالبون بالكتابة يومياً ويشاركون هموم مجتمعهم بها، فقد كنت أعتقد في كثير من الأحيان ان المواضيع التي تكتب لا تشبع اهتمامات الناس، ولا تستحق الكتابة عنها، هكذا كانت وجهة نظري وكأني كنت أرى أن جميع القراء متفقون معي ولأني كنت في موقع القارئ، وكان لسان حالي يقول لو كنت مكان

الكاتب لكنت كتبت بأسلوب أقوى وفي أمور أهم تستهوي الجميع، ولم أكن أدرك معاناة الكتاب وما يمرون به من مواقف تتطلب منهم الكتابة يومياً في مواضيع ومجالات متعددة.

ان كلاً منا في موقع عمله قد يتعرض الى مواقف كثيرة ومتشابهة، إذ ان بعض الناس لا يقدر ان الموقع يستلزم مراعاة خصائص وقواعد العمل الذي نقوم به ويفرض علينا اتخاذ القرار في الوقت المناسب. هذا هو السلوك الطبيعي للانسان، لا يدرك ان هناك تفاوتاً بين الموقع والموقف، وكل منا ينتقد الآخر ويعتقد أن بامكانه فعل المعجزات لو كان مكان صاحب الموقع.

المؤلف

الفصل الأول

حكايات لاتنسى .. في المطارات

رب صورة خير من ألف ميعاد

.. لم اكن اعرف ولم يخطر على بالي في يوم من الأيام ان للصورة الفوتوغرافية فوائد عديدة، بل أهمية قصوى تتعدى كونها وسيلة لحفظ التاريخ والذكرى، وتتجاوز موقعها في «ألبوم» المكتبة لتصبح أداة فعالة تضع حلولاً مباشرة في بعض المواقف الصعبة أحيانا..... في ذلك اليوم فقط أدركت ذلك، بمحض الصدفة.. الصدفة التي أخرجتني من ذلك الموقف الغريب.

والقصة تبدأ من خلال مشاركتي في أحد المؤتمرات الهامة باحدى عواصم الدول العربية، وكان بالفعل واحدا من اضخم

المؤتمرات من حيث اعداد المشاركين ومستوياتهم ووجود نخبة كبيرة من الوزراء العرب والدبلوماسيين ومحافظي المدن وكبار المسؤولين من جميع الدول العربية.

وقبل اختتام فعاليات المؤتمر بيوم واحد، استجدت بعض الظروف التي اجبرتني على التفكير في العودة قبل الموعد المحدد لعودة الوفد الرسمي المشارك بالمؤتمر..

وبالفعل تأكدت رحلة عودتي وبدأت ألملم حاجياتي واتجهز للسفر، ونظراً لمعرفتي بظروف المؤتمر وضخامة الحدث وانشغال معظم المسؤولين فيه (أصريت) و(ألحيت) عليهم الحاحاً شديداً بأن اترك لنفسي العنان، وأركب اي سيارة أجرة للمطار دون ان يتكلفوا عناء توصيلي ويتفرغوا لأعمالهم في المؤتمر الذي لم ينفض بعد.

وبالفعل نفذت ما يدور في رأسي ونزلت الى قاعة الاستقبال في الفندق لأودع اعضاء الوفد وبعض الاصدقاء من الدول العربية وهممت بالركوب في السيارة بمفردي للانطلاق الى المطار فإذا بأحد اعضاء العلاقات العامة في المؤتمر يعطيني (ظرفاً) مغلقاً وهو يقول: تفضل يا سيدي هدية من اللجنة المنظمة.. اخذت المظروف وانا اتساءل: ترى ماذا اهدتني اللجنة؟ ولم اعط لنفسي الفرصة لاتعرف على محتوى المظروف فوضعته في حقيبتي الصغيرة التي لا تفارقني في كافة اسفاري.

وصلت الى المطار واتجهت فوراً الى «الكاونتر» المخصص

للدرجة الاولى وانهيت كافة اجراءات تسليم الحقائب .. وهكذا واصلت مسيري الى ان وصلت الى «كاونتر» الجوازات، وقدمت جوازي للمسؤول وانتظرت ..

لاحظت ان زمن وقوفي قد طال نوعاً ما، مما دفعني لأن اسأل عن السبب، فما كان منه الا ان أخذ يماطل ويتفوه بكلمات غير مركزة، ويتذرع بأمور لا أساس لها.. فهمت على الفور ما يدور في خلد (صاحبنا) من وراء هذا التمويه كله، لذا اتخذت قراراً بألا أنصاع الى ما يفكر فيه، وأصبر حتى أرى الى ماذا سيؤول عليه الحال.

وبصراحة فقد طال صبري وبدأت اضجر واتملل من الوضع، وللأسف كانت الملامح تشير كلها الى عدم وجود بوادر حل لهذه المشكلة فلقد انقطعت سبل الاتصال بأي من المسؤولين او أعضاء الوفد، ولايوجد أمامي سوى هذا المسؤول الذي احتجز جوازي وتركني أقف أمامه، ومجموعة أخرى من المسافرين ينتظرون انهاء اجراءاتهم...

ولكني اتخذت قراري بألا أترك فرصة لنفسي لان تضعف وان ترضخ لهذا الإبتزاز الواضح.. المسألة هنا اصبحت مسألة مبدأ وكرامة، وتتعدى أي مبلغ زهيد ألقمه هذا الموظف (الفاسد) حتى ينهي اجراءاتي..

.. رفعت حقيبتي الصغيرة على الكاونتر وفتحتها لاخرج منها مايقضي على رتابة الموقف والملل الذي بدأ ينتابني فوقعت عيني

على المظروف الذي اهداني اياه رجل العلاقات العامة، ولا أدري بالضبط لماذا قررت فتحه في هذا الوقت بالذات مع ان خلجات نفسي كانت تقول لي اتركه وخذ أي كتاب آخر لتقرأه حتى يقضى الله امرا كان مقضيا.

ودون ان اشعر التقطت المظروف وفتحته واخرجت مافيه واذا هي صورة بالحجم الكبير تجمعني مع (رئيس الدولة المضيفة) خلال استقباله رؤساء الوفود في المؤتمر، وتبدو على ملامحه اثار السعادة من اثر الضحكات المتبادلة معي، وبينما انا ادقق في الصورة سمعت صوتا من خلفي يقول: أهذا مولانا المفدى.. قلت: نعم: قال: انت الذي يصافحه ويبتسم لك قلت: نعم.. عندها احسست ان القاعة قد انقلبت رأسا على عقب، كما انقلب ذلك (الموظف) المتعجرف بعد ان سمع العبارة في تعامله معي وما هي الا طرفة عين حتى جاء الى حيث اقف وعلى وجهه تبدو اثار (التهزيء) وهو يحمل جواز سفري ويقول: معذرة ياسيدي تفضل جوازك!

لم اكن اتخيل ان نهاية تلك الساعات الطويلة ستكون بلمحة بصر وفي دقائق معدودة، بسبب تلك الهدية (النادرة) التي استلمتها في اخر لحظة قبل مغادرتي الفندق، وتلك الصدفة المحضة التي جعلتني افتح المظروف في ذلك الوقت واخرج صورة الرئيس وهو يصافحني.. وصدق من قال رب (صورة) خير من ألف ميعاد!!

.. ورقة ناقصة

جمعتني رحلة بالطائرة مع صديق عزيز.. استمتعنا خلالها بتبادل الأحاديث عن الأسفار وما يصاحبها من قصص ومواقف في المطارات، ومطارات بلادنا العربية بالذات وما يصادفك فيها من المواقف، فالمطار كما يقولون عنوان البلد، ومعاملة المسؤولين في المطار مع المسافر قد تعبر عن اسلوب تعاملك مع أهل المدينة.. بدأ صديقي يحكي عن موقف صادفه وقد صادف أو يصادف كلا منا بشكل او بآخر.

قال صديقي: لقد سافرت الى احد البلاد العربية الشقيقة في

زيارة رسمية وطبعا كالعادة كان في استقبالي عدد من المسؤولين، فانتقلت مباشرة من الطائرة الى قاعة كبار الضيوف فلم أشعر الا بالترحاب وحرارة اللقاء والمقابلة العربية الجيدة وكرم الضيافة حيث ان المسؤولين تحملوا عني كل عناء الدخول فما هي الا دقائق معدودة حتى كانت حقائبي جاهزة، وسيارة خاصة، توصلني الى الفندق مكان الاقامة، فاعجبت بالمدينة ووجدت فيها كثيرا من المعالم تحتاج الى زيارة خاصة.

وهذا ما قررته في قرارة نفسي، وطبقته على الفور في أقرب فرصة حيث لم يمض عام على تلك الزيارة الرسمية حتى توجهت من إحدى المدن الاوروبية وأنا في طريقي الى بلدي لزيارة هذه المدينة العربية التي كنت في شوق اليها، وما هي الا ساعات قليلة وفي رحلة جميلة هبطت الطائرة في المطار وتوجهت ومن معي من المسافرين الى قاعة دخول المطار وكانوا جميعهم اجانب..

اخذت بطاقة الدخول فملأتها بالمعلومات المطلوبة وقدمتها الى الضابط المسؤول عندما جاء دوري... نظر الي الضابط وقال: حضرتك من الخليج؟ قلت: نعم. قال: مرحبا بكم وهو يبتسم فسررت جدا... ثم أخذ يتفحص الجواز وفجأة قال: هناك ورقة ناقصة.. وسلمني جوازي، سألت ما هي الورقة الناقصة؟ وكيف؟ فأنا لم اجد ورقة اخرى أملأها، فسكت عني واعطاني ظهره وتركني حائرا!!

نظرت إلى المسافرين الاجانب في الكابينة الاخرى فوجدتهم يملأون بطاقة واحدة فقط وتنتهي معاملاتهم!!
نظرت الى جوازي فلربما تكون هناك فعلا ورقة ناقصة فلم أجد اي نقص..
وبعد انتظار ذهبت الى كابينة اخرى والى ضابط اخر فسلمت جوازي فاذا به يردد نفس الجملة: مرحبا: ورقة ناقصة!!
سألته يا اخي هل المطلوب تأشيرة الدخول؟ فنظر اليّ وقال لي بلهجة قاسية وبأسلوب غريب: ورقة ناقصة وبس. لم اتمكن من مناقشته فتركته لعلني أجد الورقة الناقصة ولا حول ولا قوة لي.
رميت بنفسي على احد المقاعد افكر وانظر الى من حولي وسألت أحدهم بالله عليك يا أخي هل هناك ورقة اخرى علي ان املأها نظر اليّ وكأنه يستغفلني، فقال: لا توجد ورقة اخرى للدخول غير تلك التي معك.
عند ذلك سمعت صوت (المكرفون) يعلن عن وصول طائرة من احدى الدول الخليجية فحمدت الله على ذلك لعل احدهم يساعدني ولديه معرفة بالورقة الناقصة.
بضع دقائق ورأيت المسافرين يتوجهون الى قاعة الدخول واحدا تلو الآخر. فذهبت خلف أحدهم لأسأله او اشاهد الورقة الناقصة وانا في حالة يأس وتعب.. واخيرا تبينت لي الورقة الناقصة عندما تصفح الضابط المسؤول جواز الرجل فنظر اليّ قائلا الم

اقل لك.. واشار بكل برود اعصاب وبدون خجل الى ورقة نقدية خضراء من فئة الدولار الامريكي.

وكان هذا الرجل يتردد بشكل دائم على هذه البلاد ويعرف من تلقاء نفسه الورقة الناقصة!! وكذلك انا قد عرفت وادركت كم كنت جاهلا فأكملت الورقة الناقصة وسلمت الضابط جوازي فختم الجواز فورا مع الشكر والترحاب. ولم انس ان اتقدم بالشكر للاخ الخليجي الكريم الذي انقذني فلولاه كان سيطول مكوثي في المطار وقد لا يسمح لي بالدخول ومعرفة الورقة الناقصة..

يتابع صديقي حديثه ويقول ركبت سيارة اجرة متجها الى الفندق وانا اشاهد مدينة بائسة كئيبة خالية من كل نوع من انواع الحياة الا شعارات براقة وصوراً للرئيس، وهكذا اختلفت نظرتي الجميلة عن تلك المدينة. وكان اول شيء افعله عند وصولي الى الفندق هو حجز مقعد في اول طائرة مغادرة الى بلادي.. ولكن لم أنس ان اجهز بعض الدولارات لزوم المغادرة!!

السجادة بين الضابط
والعشرة آلاف دولار

أواصل الحديث عن طرائف ومواقف المطارات، والقصة تبدأ عندما قلت لاحد الاصدقاء قبيل سفري بأنني ذاهب لقضاء اجازتي لعدة ايام في بلد معين فأخبرني صديقي بأن لديه هدية لانسان عزيز عليه مقيم في ذلك البلد، وطلب مني ان اوصلها له وفي الوقت نفسه اتعرف عليه.. وبالفعل سلمني صديقي الهدية قبل ساعات من سفري وكانت عبارة عن سجادة صغيرة، سألته عن قيمتها. فقال لي بأنها تساوي حوالي ألف دولار... وعلى الفور قمنا بربط السجادة بشكل جيد وحملتها مع امتعتي وسافرت..

ووصلت الطائرة بحمد الله الى مطار البلد المقصود، وبعد اجراءات

الدخول اتجهت مع المسافرين خلف العلامات الارشادية لاستلام الامتعة وبمجرد وصولها استلمت حقائبي والسجادة واتجهت نحو بوابة الخروج.. وكالعادة ومثل ما هو معمول به في كافة مطارات العالم هناك خط احمر واخر اخضر، فاتجهت الى الاخضر على اعتبار انه لا يوجد لدي ما يستحق الابلاغ عنه (للجمرك)، في منتصف الطريق المؤدي الى باب الخروج اوقفني ضابط شاب بابتسامة لطيفة، وقال: الى اين يا أخي؟ قلت له: الى الخارج، فقال: كيف وانت لم تمر على الجمارك؟ فأجبته: لانه لا يوجد لدي ممنوعات فسلكت الطريق ذا الخط الاخضر، قال لي وهو يضحك: عفوا هذه الخطوط هي مجرد ديكور وسوف نبدأ العمل الرسمي بها في بداية القرن المقبل!!

وهكذا رجعت الى اللون الاحمر الا انني ذهلت من ذلك الطابور الطويل الذي اجبرت ان أقف فيه وانتظر دوري لعدة ساعات بسبب التفتيش (الممل) في أمتعة مواطني ذلك البلد القادمين من الخارج.. وأخيرا جاء دوري ووصلت الى الضابط الكبير والمسؤول فقابلني بترحاب وسألني عما أحمله، فأجبته لا شيء يستحق الجمرك ووقعت عينه على هدية صديقي فأخبرته بأنها هدية من صديق لصديقه في هذا البلد، فطلب مني ان افتحها قلت حاضر وساعدوني على فتحها، وما ان رأى السجادة حتى قال: انها جميلة حقاً.. كم يا ترى قيمتها؟ قلت وأنا ـ أتمتم ـ في ذمة صديقي الف دولار.. فقال: هل تبيعها لي، اجبته بدهشة شديدة: لا طبعاً لانها ليست ملكي كما

انها ليست للبيع فهي هدية كما قلت لك..

.. بكل تأكيد لم يعجبه كلامي فترجم ذلك عملياً حيث امر مساعديه بتفتيش كافة الحقائب التي احملها واخراج ما بها قطعة قطعة.. فلم يجدوا بها الا ملابسي، ثم نظر الي بعصبية وقال: اذن عليك ان تدفع جمرك السجادة.. طبعاً لم يكن لدي خيار اخر فوافقت، عندها قال على الفور: عليك ان تدفع الف دولار للصندوق وكتب لي ورقة بذلك.. اخذت الورقة واتجهت الى الصندوق، فاذا بذلك الضابط الشاب امامي مرة اخرى فسألني: ماذا ستفعل؟ قلت سأدفع الف دولار ضريبة السجادة.. ضحك مرة اخرى وقال: اعطه السجادة وحافظ على الالف دولار.. قلت له: لن أعطيه اياها وسأدفع الضريبة وآخذ السجادة.. وبالفعل دفعت المبلغ واستلمت الرصيد ورجعت الى الضابط (الكبير) الذي بادرني بالقول حسناً فعلت، الان عليك ان تأخذ حقيبتك، اما السجادة فستأتي غداً لتأخذها من ذلك المكتب الذي أمامك..

خرجت من المطار الى الفندق، وفي صباح اليوم التالي رجعت الى المطار مرة أخرى والى المكتب المذكور، ولكني لم اجد ذلك المسؤول فسألت عن السجادة وكان الرد عليك ان تأتي غداً.. قلت في نفسي فليكن سآتي غداً.. وهكذا مرّ يومان دون نتيجة.. وفي اليوم الثالث ذهبت الى المطار بالرغم من حالة التعب والارهاق التي بدأت تنتابني علّني اجد المسؤول أو من يدلني على طريقة استرجع بها الالف دولار بعد ان فقدت الامل في الحصول على السجادة.. ظهر لي للمرة

الثالثة ذلك الضابط الشاب البشوش المبتسم كعادته وقال: هل انت مسافر خلاص.. قلت: لا بل جئت استرجع الالف دولار او السجادة.. فدعاني معه الى مقهى المطار لنشرب القهوة، لبيت دعوته وجلست على أول طاولة، سألني ماذا ستفعل الان؟ اجبته: سأخذ السجادة أو على الاقل الالف دولار حتى لو كلفني ذلك عشرة الاف دولار اخرى.. رد علي بسخرية وبابتسامته المعهودة: انك لم تقبل نصيحتي الاولى عندما طلبت منك اعطاءه السجادة والمحافظة على الألف دولار فكانت النتيجة انك خسرت الاثنين معاً.. فما رأيك لو تربح الان عشرة الاف دولار؟ سألته: وكيف ذلك.. قال بأن تنسى الموضوع برمته ولا تجازف بعشرة الاف دولار اخرى لانك في النهاية لن تجدها وستخسرها.. اذن حسابيا انت الربحان.. ذهبت السجادة والألف دولار فهل تريد ان يذهب معهما عشرة آلاف دولار؟!

أجبته بعد ان سلمت امري الى الله.. لا يوجد امامي سوى ان انتظر يوماً تكون فيه انت المسؤول الاول في هذا المطار، فأمثالك هم الذين سيقضون على الفساد.. رد علي بضحكة لا تذهب بعيداً عندما سأكون في مكانهم، قد أصبح مثلهم..

.. ودعته وانا اقول في نفسي الى اللقاء ربما تراني في هذا المطار ولكن في القرن المقبل بعد ان تبدأوا العمل في الخط الاخضر.. لا حول ولا قوة الا بالله ذهبت السجادة وألف دولار ولكني اصبر نفسي لأني احتفظت بالعشرة آلاف!!

حقيبتي ورصاص البندقية

كنت مع مجموعة من الاصدقاء نتابع في احدى القنوات الفضائية لقاء مـع مـفـكـر اوروبـي مـتـخـصـص في الـعـلاقات الاوروبـيـة الـشـرقـيـة وبالذات في الشؤون الاسلامية.

كان الحديث حول بقايا آثار التفرقة التي ما زال يشكو منها بعض المواطنين الشوقيين عند زيارتهم لدول اوروبا، وكان الرجل في حديثه معقولاً ومتحمساً جداً للقضاء على هذه البقايا التاريخية، لكن كما يعتقد فهذه النظرة لم تعد قوية بتلك الدرجة التي كانت عليها قبل سنوات.

وتطرق الى العلاقات التاريخية بين الغرب والشرق التي قد نختلف او

نتفق معه حولها، لكن ما يهمنا هو عندما سأله مقدم البرنامج عن سوء المعاملة التي يتعرض لها بعض المواطنين العرب او المسلمين بسبب الوانهم انكر ذلك وقال مبرراً: عندما يحدث ذلك في اية دولة اوروبية يكون إما نتيجة لأعمال مخالفة لقانون تلك الدولة او نتيجة لعمل ارهابي قام به مواطن شرقي مما ينعكس على ذلك ويكون ردة فعل تختزن في الذاكرة وتستمر لفترات طويلة.

ولأننا كنا مجموعة فقد دار الحوار بيننا على ما طرحه الرجل من افكار خصوصاً موضوع معاملة الزوار الشرقيين في اوروبا سواء كانوا عرباً مسلمين او مسيحيين والنظرة الدونية اليهم مع انهم سياح من الدرجة الاولى، وابسط مثال على ذلك المعاملة التي يتلقاها الانسان الشرقي في مطارات اوروبا، سواء كان سائحاً او زائراً، فالحكم عليه اول ما يأتي من لون بشرته، وملامحه، قبل التعرف على بيانات جوازه التي يتم فحصها بكل دقة، رغم وجود التأشيرة، اذ تستغرق معاملة دخوله وقتاً لا يستهان به يضعه في موقف محرج ليس من قبل الضابط الذي يتفحص جواز سفره فحسب، بل حتى من المسافرين الآخرين الذين يقفون خلفه يرمقونه بنظرات شك واتهام في اغلب الاوقات!

ومن يقارن تلك الحالة والمعاملة بالطرف الآخر يرى عجباً، ففي مطاراتنا يعامل الاوروبي (معاملة الملوك كما يقولون) مع انه ليس سائحاً من الدرجة الاولى، فمن النظرة الاقتصادية يظل السائح

الاوروبي اقل انفاقاً من السائح الشرقي، لكنه يستقبل رغم ذلك بكل ترحاب واحترام وفوق كل هذا لا تستغرق معاملة دخوله سوى دقائق معدودة!!

وفي سياق حديثنا حول هذا الموضوع روى لنا احد الاصدقاء ما حدث له في احد مطارات اوروبا عندما كان مسافراً من مدينة الى اخرى.

ففي المطار ومن النظرة الاولى وقبل ان يسأله ضابط الامن من أين انت واين جوازك أدخل الى كابينة التفتيش وأخضع إلى إجراءات مثيرة بدءاً من خلع ملابسه إلى تفتيش كل قطعة من جسمه وكل مخبأ في حقائبه، وصاحبنا يسأل بدهشة وفضول لماذا كل هذا؟ ماذا فعلت؟ دون ان يجد اجابة شافية واحدة على اسئلته المتناثرة، وعندما لم يجدوا معه شيئاً اعتذروا له قائلين ان انفجاراً حدث في المدينة واغلب الظن إن الذي كان وراءه عربي... هذا كل ما لدينا من معلومات، وما نقوم به من اجراءات وقائية ليس الا للسيطرة على عدم تكرار حدوث ذلك ولسلامة البلد!.

وتذكرت حادثة وقعت لي شخصياً عندما كنت مسافراً من بلد اوروبي الى آخر، فبعد انهاء اجراءات معاملتي توجهت الى قاعة المغادرين وجلست على احدى الطاولات بالمقهى، وتركت حقيبتي بجانبها، ثم ذهبت لطلب فنجان قهوة وفجأة رأيت جندياً بيده بندقية يحرك بها حقيبتي فتوجهت له مسرعاً وقلت له لو سمحت هذه

الحقيبة تخصني.. عندها نظر الي وكأنه عرفني من شكلي بأني شرقي وقال: خذها واتبعني!

قلت له: دقيقة، سآخذ فنجان قهوتي وسآتي حالاً. قال بلهجة حادة وآمرة: اذا لم تأخذها الآن سأفرغ رصاص بندقيتي فيها!!

هكذا وبكل بساطة كانت ردة فعله، ومع اني كنت ادرك انه لا يستطيع فعل ذلك الا انني تبعته وانا اردد في دواخلي: لو كان يعلم ان في هذه الحقيبة متفجرات مثلاً لما قال ذلك!

انها نظرة عنصرية ليس الا، وهذا ما قد يصادفه كل زائر أو سائح شرقي لأوروبا.

وفي اعتقادي الشخصي ان هذا يعود الى عقدتنا نحن في الشرق وعقدتهم في الغرب كل منا تجاه الآخر، فنحن نعتقد ان السائح الاوروبي انسان متحضر، قوي، غني يجب الحفاظ عليه فنعامله من هذا المنطلق.

اما الاوروبي فنظرته الينا غالباً ما تكون دونية، فهو ينظر إلى الانسان الشرقي عموماً والعربي خصوصاً على أنه همجي، متخلف واخيراً ارهابي.

هكذا ننظر لبعضنا البعض، نظرتين مختلفتين متضاربتين، والى ان تتغير هذه النظرة ونتعامل بالمثل سيبقى بعض من هذا التمييز موجوداً!

مستقبل الطيران
والسمك المدخن

ان التقدم العلمي الذي حدث في مجالات مختلفة في هذا القرن كثير، بل كثير جدا، خصوصا فيما يتعلق بمجال الفضاء والطيران وبالذات في الطيران المدني، حتى قرب البعيد، وأصبحت المسافة التي كانت تقطع في أيام عديدة خلال العقود الماضية لا تتعدى الآن ساعات معدودة.

ولقد وصل عدد شركات الطيران في العالم حوالي 260 شركة تسير رحلات على مدار العام تبلغ 11.5 مليون رحلة سنويا، أي ما يعادل

900 ألف رحلة شهريا، ويعني ذلك ان هناك حوالي 30 الف رحلة طائرة في الجو بشكل يومي.

وعلى سبيل المثال المسافة التي كانت تقطع بين العاصمة البريطانية لندن وبعض بلداننا العربية في بداية القرن الحالي بالباخرة أو القطار احيانا تبلغ عدة أسابيع، اختصرت الآن بفضل الطائرات الى ساعات بسيطة، وبذلك يستطيع أي شخص في أيامنا هذه ان يسافر الى لندن اليوم ويرجع الى البلاد غدا، لأن المسافة بين دبي ولندن تقدر بحوالي سبع ساعات بمعدل عدة رحلات في اليوم الواحد.

ولكن مع بداية القرن المقبل ومع الاستكشافات الجديدة في مجال الطيران ستقل هذه الساعات بكل تأكيد، وقد يستطيع المسافر تناول وجبة الافطار في لندن ووجبة الغداء بين أهله في دبي، هذا بالنسبة للسرعة، أما فيما يخص الراحة والترفيه فلا شك انها ستتطور الى أقصى الدرجات، إذ ان المنافسة ستكون قوية جدا بين شركات الطيران العالمية.

والسؤال هنا ماذا عن الغد؟ وماذا ستقدم هذه الشركات في ظل المنافسة التجارية لجذب المسافرين اليها؟ بالنسبة لمنطقتنا نلاحظ وجود تنافس شديد بين شركات الطيران المختلفة، وبالذات بين طيران الامارات والخطوط الجوية البريطانية، فعلى سبيل المثال تفتخر طيران الامارات بخدماتها الممتازة، في المقابل تفتخر البريطانية بمقاعدها المريحة (والى ان توفر طيران الامارات المقاعد

المريحة كالبريطانيين قريبا، كما علمت من مصدر مسؤول سوف تظل المنافسة قائمة).

أما عملية التأخير في موعد الاقلاع والوصول، فهذه مشكلة تواجه احيانا جميع الشركات دون استثناء، ويحاول باستمرار طاقم الطائرة تهدئة الركاب واقناعهم بجميع الوسائل والأعذار بأن التعطيل خارج عن ارادتهم أحيانا كانشغال المطار، وكثرة الطائرات الهابطة والصاعدة، أو بتأخير أحد الركاب، وغيرها من الأسباب، ولكن الركاب بدورهم يتذمرون دائما من ذلك، وكلما صادفتهم هذه المشكلة، ذكروا محاسن شركات أخرى ويتناسوا انهم قد يكونوا صادفوا نفس المشكلة معها أيضا.

ونعود الى موضوعنا، وهو ما يمكن ان تقدمه لنا شركات الطيران في المستقبل.

ألا يمكن ان يأتي يوم تقدم فيه لنا غرفة منفصلة خاصة بالجلوس والنوم وحتى المطبخ، وهل يمكن ان يسمح للراكب ان يطبخ بنفسه أكله الخاص أو ربما يأخذ طباخه معه؟! بالتأكيد كل ذلك جائز.

لكن صديقنا الذي كان معي في احدى الرحلات على الطائرة البريطانية من لندن الى دبي سبق هذا الحدث.. حيث تجولنا في السوق الحرة لمطار لندن قبل الاقلاع، فرأيته بعد ساعة قد جاء وهو يحمل كيسا كبيرا، وتبادر الى ذهني انه اشترى بعض الهدايا لعائلته!! وبعد ركوبنا الطائرة أصر صديقنا ان يحتفظ بالكيس معه،

فاستغربت الأمر! وبدأت الرحلة، وجاء وقت تقديم الطعام.. جاءت المضيفة لتأخذ طلباتنا، فطلب صديقنا وجبة كاملة بالاضافة الى اطباق وملاعق اضافية، ثم بدأ يخرج محتويات الكيس... كافيار!.. خبز!.. بسكوت أسمر!.. وقطعة كبيرة من السمك المدخن (Salmon Smoke).. وكأن رحلتنا ستدوم أسبوعا كاملا!

قال لي: انظر الى هذا السمك المدخن المقدم لنا مقارنة بما اشتريته، تذوقه. وقدم لي قطعة وهو يقول: ان هذا أفضل نوع من أنواع السمك المدخن.

و بدأ بتحضير طعامه بنفسه، يقطع السمك المدخن ويمزجه بالتوابل والسلطات، وهكذا استطاع ان يسبق الزمن، ويحضر أكله ويعده بنفسه، وكأنه يقول للشركات: أضيفوا هذه الخدمة الى خدماتكم مستقبلا.

ترى هل شركات الطيران مستعدة لذلك؟.. ربما، وقد يوفر عليها ذلك الكثير.. ما علينا إلا ان ننتظر المستقبل!.. أحييك يا صديقي على شهيتك.. وبالعافية دائما!!

كم اشتقت إلى الشارقة

أواصل الحديث عن مواقف المطارات وهذه مواقف ثلاثة اخرى.

الموقف الأول

* نزلت في احد المطارات بدولة عربية شقيقة ووصلت مع المسافرين إلى «كابينة» الدخول وكنت الشخص الثالث في طابور الانتظار... فجأة وقع ناظري على ضابط الجوازات وهو يختم بأسلوب بطيء جدا جواز أحد المسافرين فابتسمت ـ وكانت النقمة علي وعلى جميع المسافرين الواقفين في الطابور من بعدي ـ سألني الضابط عندما

وصلت إليه لماذا تضحك؟ قلت له: لم أضحك بل ابتسمت سألني: ولماذا؟ اجبته هل الابتسام ممنوع؟ وبدون اي اهتمام ترك جوازي وتركني والآخرين لننتظر وخرج من الكابينة (صدقوني) لمدة تجاوزت 35 دقيقة، وكان ذلك عقابا لي على الابتسامة حتى اعتقد بعض المسافرين بأني مشبوه او ان الضابط اصيب بنوبة قلبية في الداخل هكذا احسست من خلال همساتهم وضجرهم.

وأخيرا فرجت عاد الرجل ونظر إلي وهمَّ بختم جوازي ببطء ممل وقال: لا تضحك مرة اخرى، هل لديك ما تقوله؟ طالعته باستغراب كان بودي ان ارد عليه او ابتسم مرة اخرى او اضحك ... لكن الخوف على من يصطفون خلفي كان قد قتلني فتذكرت عندها وبكل شوق تلك اللوحة عند مدخل امارة الشارقة (ابتسم انت في الشارقة) فقررت الصبر حتى اعود الى أرض الوطن وابتسم!!

الموقف الثاني

* هبطت طائرتنا في أحد المطارات العربية أنا وزميل لي. ونحن في طريقنا الى ارض الوطن وبعد ساعة تقريبا وبعد ان صعد معظم الركاب جاءنا موظف شركة الطيران وهو يقول لي ولصاحبي: هيا قوما على الفور واذهبا الى الدرجة السياحية قلنا: لماذا؟ لدينا تذاكر الدرجة الاولى والمقعد محجوز لنا من مطار الاقلاع اجاب: هذا

صحيح ولكن مع ذلك عليكما الذهاب فورا إلى الدرجة السياحية هذه اوامر!.

قلت له باستغراب: هل لك ان تشرح لنا الاسباب؟ قال: إن شركة الطيران هذه تابعة لهذه الدولة و هناك اثنان من كبار الشخصيات يودون السفر عليها قلت له: ولكنها ليست طائرة خاصة، انها شركة عامة والشخصيات الكبيرة لابد وان تكون لهم طائرة خاصة بهم.

حاولت مناقشته لكنه اصر على نقلنا عند ذلك سألته: هل شركة الطيران هذه تملكها هذه الدولة فقط فأجاب: لا بل هي مساهمة تتكون من عدة دول هي ... وعندما ذكر اسم دولتنا من ضمن المساهمين قلت له : انا وزميلي من هذه الدولة وهذه هي جوازاتنا اذن نحن ايضا نعتبر ملاكا لهذه الطائرة وعندما نظر الى الجوازات وتأكد من ذلك قال : انا اسف وتركنا.

وفجأة اتجه الى شخص عربي وزوجته وبعد برهة سمعت ذلك الشخص العربي وهو شخص تربطني به معرفة سابقة يستنجد بي ويصرخ: أخي بوصلاح الحقنا قلت له مازحا: اخوك بوصلاح كان في نفس موقفك قبل دقائق ولولا مساهمة دولتنا في الشركة لكنت سبقتك الى السياحية فما عليك الآن سوى الاتصال ببلدك وتطلب منهم المساهمة في هذه الشركة!!

وهكذا وبرغم احتجاجه الا انه تم نقله وزوجته (حسب الاوامر) الى الدرجة السياحية ... وعندها دخل رجلان لاتدل عليهما أية علامة من

علامات الاهمية الا انهما كانا يلبسان قفازين في ايديهما حاملين عليها .... عندها عرفنا سبب اهميتهما!!

الموقف الثالث

* ذهبت في يوم من الايام الى بلد عربي لمدة 24 ساعة بغرض مشاهدة مباراة في كرة القدم، وبعد انتهاء المباراة اتجهت مباشرة الى المطار، وكالعادة سلمت تذكرتي إلى الموظف، لكنني ذهلت عندما قال لي لا يوجد مقعد محجوز لك ... كيف وأنا حاجز من بلادي واكدت الحجز بمجرد وصولي .. قال باسلوب تغلب عليه اللامبالاة .. أسف لايوجد حجز لك وعلاوة على ذلك فان الطائرة قد اغلقت ابوابها وسوف تغادر بعد دقائق وفوق ذلك كله فانك متأخر!!

قلت له: شكرا ارجوك احجز لي مقعدا على طائرة اخرى في صباح الغد، اجابني بتوتر وعصبية: تعال في الصباح الباكر، حاولت معه خاصة انني على ارتباط مهم في صباح الغد ويجب ان أعود قبل ذلك الموعد المهم .. لكنه لم يستمع لي وتركني ودخل مكتبه.

في هذه الاثناء لمحت صديقا وصل للتو صالة المطار فاتجهت اليه عندما رآني بادرني بالسؤال:

هل أنت مسافر معنا البلاد، قلت له، كنت، ولكن الطائرة فاتتني، ولا توجد رحلة اخرى اليوم، قال باستغراب كيف وأنا مسافر الآن !!

سألته عن رقم الرحلة، فكانت المفاجأة بالنسبة لي فهي نفس رحلتي .. عندها لم أتمالك اعصابي ولحسن الحظ لم يكن معي سوى حقيبة يد، فذهبت خلفه، سلم جوازه وسلمت جوازي، سألني الشرطي: اين (Bording Cart) بطاقة ركوب الطائرة قلت: لاتوجد لدي هذه تذكرتي فقط، ومشيت والشرطي يلاحقني ويصرخ: ايها السيد كيف تذهب بدون بطاقة السفر هذا امر غير قانوني أجبته، وانا أمشي مسرعا: عندما يحترم موظفو المطار القانون اطلبوا من الآخرين احترامه.

استمريت في طريقي، ولم اتوقف الا عند باب الممر المؤدي الى الطائرة، عندها توقفت وشرحت الموقف للشرطي وسبب فعلي وانفعالي، فما هي الا دقائق حتى جاءني مسؤول الأمن ثم كبير موظفي الشركة، فاكتشفوا الحقيقة، حيث تأكد لهم بان مقعدي قد ألغي بفعل فاعل هو ذلك الموظف وقد اعطى المقعد لزميل له في العمل.

ومع تقديم اعتذارهم الشديد والتأكيد على معاقبة الموظف ركبت الطائرة وعدت الى البلد.

وانتهى الموقف الاخير بهذه الصورة ولكنه بالتأكيد لن يكون الأخير في الحياة ... ومن هنا فان هذه المواقف هي خاتمة مواقف المطارات كما وعدتكم .. الا اذا..

الفصل الثاني

نوادر رسمية

جاسوس البطيخ

الـهـواجس الأمـنية كانت أشد ما يسيطر على الدول النامية خلال فترة الستينيات والسبعينيات، مما كان يـتسـبب في مشـاكـل كـثيرة لا حـصـر لـهـا لمواطنـي تلك الدول والسواح الاجانب، وكانت احدى هذه المشاكل متمثلة في «التصوير»...

وكان من الطبيعي جداً في تلك الدول ان تجد لوحات ولافتات هنا وهناك مكتوب عليها «ممنوع التصوير» مع صورة للكاميرا مشطوب عليها باللون الاحمر!! وأحيانا

كثيرة تقع مشاكل نتيجة التصوير أينما كان، وحتى في المرافق والاماكن العامة وان لم توجد لافتات تحذيرية... ومن ذلك اتذكر عندما كنت في زيارة مع بعض الاصدقاء لاحدى هذه الدول، وكنا نلتقط الصور بالقرب من بعض معالم المدينة السياحية والتراثية.

وفي إحدى المرات واثناء قيام زميل لنا بتصويرنا بقرب معلم تراثي إذ بشرطي يوقفنا ليقول: ممنوع التصوير. ولم يكتف بذلك بل طلب من زميلنا تسليم الكاميرا لمصادرتها... طبعاً رفضنا ذلك، فما كان منه إلا ان اخذنا الى احدى مراكز الشرطة، وهناك وبعد نقاش طويل اعطونا الكاميرا ولكن بعد ان انتزعوا الفيلم وأخذوه دون ان نعرف... لماذا؟ وما هي الاسباب؟...

لقد كنت في زيارة لدولة عربية وبصحبتي خبير امريكي «من اصل عربي»، وكانت هذه الزيارة بهدف الاطلاع على بعض المشاريع الخدمية بغية الاستفادة من بعض الافكار فيها في تنفيذ مشاريع مماثلة لها في بلدنا... ومن ضمن المواقع والمشاريع قمنا بزيارة سوق للخضار تم بناؤه حديثاً، وكان برفقتنا احد المسؤولين، واثناء تجوالنا... فجأة... لم أجد صاحبي «الخبير»... التفت للبحث عنه واذا به في مشادة مع شخص تبين لي انه

مراقب البلدية فسألت «الخبير» ما الذي حدث؟
قال: لقد اعجبني اسلوب عرض البطيخ، فقمت بتصويره، وجاء هذا المراقب مسرعاً يريد ان يأخذ الفيلم، بحجة ان التصوير ممنوع!!
سألت المراقب: كيف تفعل ذلك؟ فأجاب: ان هذا الرجل يدعي انه امريكي، ويتحدث العربية والاكثر من ذلك ان اسمه...!!
قلت له: وهل انت تعترض على جنسيته واسمه، ام اعتراضك على التصوير؟
قال: بل التصوير:
فسألته: هل البطيخ مستورد؟
اجاب بصوت عال وبفخر: لا، بل هو من انتاجنا المحلي...
هنا التفت لصاحبي وقلت له: أنت امريكي، وتصور البطيخ من الانتاج المحلي، حتماً انت جاسوس وعميل تريد ان تعطي اسرار انتاج البطيخ لإسرائيل!!
قال المراقب دون تفكير: نعم... نعم... صدقت يا سيد... فما كان منا الا ان انفجرنا من الضحك، فانتبه لذلك وقال: سأخذك انت معه ايضاً الى مخفر الشرطة... قلت هذا من حقك، فأنا شريك لهذا الجاسوس!!

وهنا حضر مرافقنا، وشرحنا له الموضوع فنهر المراقب وقال له: كيف تمنع ضيوفنا من التصوير... انه سوق للخضار وليس مفاعل نووي!!

قال المراقب: يا عمي لكن «التصوير ممنوع»، وتركنا وهو يكلم نفسه متمتماً: امريكي، ويتحدث العربية، واسمه........!!.

على فكرة بقي ان تعرفوا أيها السادة القراء ان صاحبنا الخبير الامريكي كان اسمه « Paul».

.. تخيلوا كيف كان المراقب ينطق الاسم!!

«الروتين» ...
ظالم أم مظلوم؟

«الروتين» كلمة ظالمة أم مظلومة؟.. قبل ان نصدر حكمنا لابد ان نعرف من أين جاءت الكلمة، وكيف؟

«ENROUTE» كلمة لاتينية الأصل تعني الى الطريق، ومنها جاءت كلمة «لفُز» باللغة الانجليزية، والتي تحمل المعنى نفسه، ولكن مع اختلاف كبير، فالأولى تعني كما ذكرت الى الطريق، اما الثانية فهي الطريق العادي بالمعنى المعروف.

وما يهمنا في هذا الموضوع هو المصطلح الذي خرج من هذه الكلمة، وهو الروتين، وهي كلمة دخلت الى اللغة الانجليزية في عام 1676 من الأصل الفرنسي «Route» وتعني (المسار المعتاد للاجراءات والأداء الميكانيكي بشكل أو بآخر).. كما تحمل كلمة روتين معنى آخر مشابها وهو الشكل المعتاد للحديث أو مجموعة متداولة من العبارات، ومنها جاءت كلمات مثل الشخص الروتيني «Routiner» وهو الذي يتصرف أو يتحدث وفقا للروتين، ومنها ايضا النزعة الروتينية وتعني سيادة أو هيمنة الروتين.

ومع مرور الزمن أصبحت كلمة الروتين متداولة في معظم دول العالم بما فيها الدول النامية ومنها الدول العربية، وبالتالي تغير مفهوم الكلمة في كثير من الدوائر والوزارات في الدول العربية، إذ ان بعض المسؤولين والموظفين يعقدون الأمور لسبب ذاتي أو شخصي لا دخل للكلمة به ويعلقون تصرفهم على الروتين.

ومن هنا بدأ المراجع يطعن في الروتين بدلا من الطعن في تصرف هذا المسؤول أو ذاك، وهكذا حرف مفهوم الروتين وأصبح مظلوما.

وفي هذه «الاستراحة» لا يفوتني ان أذكر مثالا بسيطا ذكره لي أحد الأصدقاء حول ما يعرف بالروتين في أحد البلاد العربية، قال ان أحد المواطنين في بلده لجأ الى البلدية لأخذ تصريح يسمح له ببناء

غرفة وحمام (عزكم الله) فوق سطح منزله، وعند مقابلته للموظف المسؤول عن الترخيص قال له: موضوعك بسيط، ولكن حله ليس عندي، إنما عند مدير الادارة. وعلى الفور تحرك المواطن الى مكتب مدير الادارة الذي وضع توقيعه البسيط مع ملاحظته وقال: الآن عليك الذهاب الى المدير العام.. استغرب الرجل بشدة فهل يستدعي الموضـوع الـذهـاب الى المديـر الـعـام؟ فـجـاءت الاجـابـة بـأن ذلك ضروري.. فاتجه الى مكتب المدير العام، وبعد انتظار دخل عليه وقدم له الطلب، فابتسم المدير قائلا تلك الجملة الطيبة (فالك طيّب) لكن الموضوع لن ينتهي عندي، حيث لابد من موافقة المجلس البلدي. صعق الرجل بما سمع، وهل سيعرض موضوع طلبه البسيط على المجلس البلدي؟!.. أجابه: هذه هي الاجراءات وما عليك الا الانتظار لمدة اسبوع أو أكثر لحين اجتماع المجلس ليبت في طلبك.

ومن غير حول ولا قوة، انتظر الرجل اسبوعا آخر راجع بعده مبنى المجلس البلدي ليسأل عن طلبه، وهناك كانت الفاجعة.. ان طلبه قد انتهى من المجلس البلدي وهو في الطريق الى مجلس الوزراء، وكلها شهر ويتم النظر فيه!!

لم يصدق الرجل أذنيه، فهل يعقل ان يصل الموضوع الى مجلس الوزراء (الموقر) ولماذا؟!.. لأن الاجراءات تقول ذلك.

وعلى الفور اعتذر الرجل وطلب منهم سحب طلبه وألغى نهائيا فكرة الغرفة والحمام من ذهنه، ورجع الى بيته مذهولا مصدوما.

ويتابع صديقي حديثه: هل تعتقد ان المسألة قد انتهت هنا؟.. بعد شهر من هذه الواقعة، فوجىء الرجل بابنه الأكبر يدخل عليه وهو غاضب وزعلان ويلوم أبيه قائلا: لقد فضحتنا يا أبي. فرد عليه مستغربا: ماذا حدث؟.. فاذا بالابن يعطيه نسخة من (الجريدة الرسمية) مكتوب فيها، وافق مجلس الوزراء في جلسته رقم (...) على طلب المواطن فلان الفلاني ببناء غرفة ودورة مياه فوق سطح منزله الكائن بمنطقة (....) بعد ان قدر المجلس الظروف العائلية التي يمر بها المواطن!!

جيران .. ولكن

في يوم قررت أنا وصديق لي أن نقوم برحلة في السيارة من احدى المدن بدولة اسلامية الى مدينة أوروبية مجاورة لمدة يوم واحد.. وانطلقنا من تلك المدينة حتى وصلنا الى نقطة العبور، وتوجهنا الى مركز الجوازات والجمارك للخروج فوجدنا طابوراً من الواقفين أمام كابينة الخروج لانهاء معاملاتهم.. اسئلة وأجوبة، وأصوات مرتفعة.. واستغرق وقوفنا ثلاث ساعات في يوم مشمس وحار جداً، ومن ثم جاء دوري، فقال لي الضابط بعد ان نظر الى جواز سفري: اذهب الى الكابينة الاخرى.. قلت له: لماذا؟ فقال: لأنك تحمل جوازاً دبلوماسياً، حاولت أن أفهمه أن جوازي ليس دبلوماسياً

وحاولت أن أقنعه بأن يقوم بختمه لأنني كنت متعباً جداً من طول الوقوف، الا أن محاولاتي باءت بالفشل ولم يقتنع، وبالتالي كان عليّ أن انتقل الى طابور آخر وأنتظر لساعة أخرى حتى يجيء دوري، عندها تذكرت جميع المداخل والمخارج الدولية التي سافرت اليها، وكل أنواع الاجراءات المتبعة في جميع انحاء العالم، لعلي أجد مثيلاً لهذه المعاملة العقيمة وهذا الاسلوب الاستفزازي فلم أجد..

المهم أنني انتقلت انا وصديقي بالسيارة الى الجهة الأخرى من الحدود فقلت له: ما كل هذا التعقيد كيف يمكن ان يتوقعوا في ذلك البلد ان يقدم عليهم السياح فقال صاحبي: صبراً حتى نصل المركز الآخر وترى معاملة الاجانب ثم احكم. وكأنه كان يتوقع معاملة أسوأ.

وعند وصولنا أوقفنا سيارتنا، وقبل ان ننزل، اشار الينا ضابط المركز من بعيد بالجلوس، فنظر الي صديقي مبتسماً: رأيت هذه معاملة الأوروبيين!.. وجاءنا الضابط فأخذ منا الجوازات ثم قال: ابقوا حيث أنتم، بدأ صديقي يضحك ويقول: هذه هي البداية والموضوع حتما سيطول.. ولم تمض دقائق معدودة واذا بالضابط يسلمنا الجوازات ونحن في السيارة ويقول: اذهبا.. اجبته: الى أين؟ فقاطعني صديقي قائلاً: الى الخلف طبعا.. الى حيث كنا، واذا بالضابط يشير الينا بالدخول الى المدينة وسط دهشة صاحبي الذي لم يصدق اننا بعد عدة دقائق فقط كنا قد وصلنا الى وسط المدينة.

وبعد ان قضينا نهاراً جميلاً في تلك المدينة الجميلة غادرناها في آخر النهار عائدين الى (....)، وهكذا رجعنا مرة اخرى الى نقطة الخروج وتوقفنا عند مخرج المدينة الاوروبية بغية تسليم جوازاتنا، وكم كانت دهشتنا عندما اشار لنا الضابط بالتحرك والخروج بكل بساطة وبدون وقوف أو تسليم جوازات.

وبالتأكيد لم نصدق هذه المعاملة وهذه الاجراءات السهلة والمبسطة وانتقلنا الى الجهة الثانية من المركز ليواجهنا على الفور الشرطي ويشير لنا بالتوقف ويقول: اوقفا سيارتكما بعيداً ثم اذهبا لانهاء معاملة الدخول. وتطوعت بحمل جواز صديقي خوفا عليه من (الصدمة الحضارية) وسلمته للضابط وقلت له باحترام: معاملتكم مختلفة تماما عن معاملة جيرانكم في الجهة الاخرى، ولك ان تتخيل اننا وقفنا عند المغادرة ثلاث ساعات في وقت الظهيرة والآن عند العودة لا يمكننا الخروج قبل ساعة نظرا لهذا الطابور الطويل فلماذا لا تكونوا مثل جيرانكم؟! قال لي: كيف؟ قلت: تعاملون الناس بأسلوب حضاري وبمعاملة حسنة مع التقليل من هذه الاجراءات المعقدة.. هنا تدخل ضابط آخر كان يستمع الينا (يبدو انه لا يوجد عمل لديه، وكأنه لا يجد غيري في الطابور) قائلا: هل تريد منا ان نقلد الغرب؟ قلت: ولم لا قال: نحن مسلمون نختلف عنهم، لنا اسلوبنا، ولا نريد ان نقلدهم.. اجبته بهدوء وبابتسامة: لأننا مسلمون فانه من الواجب علينا معاملة الناس بأسلوب حسن، ان

ديننا وتقاليدنا الاجتماعية يفرضان علينا ذلك، اما ما تقومون به من اجراءات معقدة فهي بعيدة عن الاسلام، ترى كيف تريدون ان يأتي اليكم سائح وانتم تعاملونه بهذه العقلية في الوقت الذي تحتاج فيه بلدكم للسياح؟

رد علي بنظرة قاسية وهو يطلع على جوازي: لو لم تكن من هذه الدولة الصديقة، لكنا علمناك درساً لم تنسه.

أخذت جوازي وانصرفت، فانتبهت لصديقي وهو يتمتم: الحمد لله انني لم اسلمه جوازي معك لقد كان الله في عونك.

تركنا المركز والضابط واتجهنا الى السيارة، فاذا بشرطي يقود كلباً بوليسياً، يأمرنا بفتح السيارة للتفتيش، أطعنا الأوامر، وجعلناه يفتش على راحته وبالطبع لم يجد شيئاً داخل السيارة فقال: تفضلا في أمان الله.. وعند ركوبنا السيارة قال: عفوا ألا توجد اكرامية.. أجبته على الفور: وهل تركتم للكرم مكاناً!!

«اللخبطة» الشرقية والريجيم الأوروبي

بعد ان سافر الأهل وبقيت هنا لاتمام بعض الأعمال قبل اللحاق بهم، حاولت ان أتجاهل انهم ألقوا على كاهلي مسؤولية تدبير أموري وأحسست للوهلة الأولى بأن نمط حياتي لن يتغير كثيرا لأنني سوف انشغل طوال الوقت ولن أعود إلى البيت إلا للأكل والنوم.

ولكن بعد مرور يومين أحسست بثقل المسؤولية، وأدركت بأنه لا مفر من التعامل مع الواقع الصعب، وبدا واضحا ان الجهد الذي

كنت ابذله أصبح مضاعفا حيث لم أتعود الاعتماد على نفسي في البيت!!

وبينما أنا في طريق عودتي للمنزل تذكرت موقفين من المواقف الطريفة، حيث كنت أسكن في شقة في الخارج مع أحد الاخوان، وهو شخص معروف بأنه طباخ ماهر، ويجيد طهي مختلف أصناف الطعام خاصة أكلاتنا الخليجية، وفي الوقت نفسه فهو متفوق في دراسته (ويحمل الآن شهادة علمية عالية)، وفي احدى المرات فاجأنا أخ لنا هناك بدعوة بعض أصدقائه الأجانب لتناول العشاء عندنا بقصد تعريفهم على أكلنا الشرقي، وطلب مني ان أخبر (أخانا) الطباخ الماهر بذلك ليستعد، ولكنه مع الأسف تأخر كثيرا، ومرت الساعات واقترب وقت العشاء، ولم يحضر وبالتالي لم يكن لي بد إلا ان أغامر وأجهز أي شيء للعشاء!!

قلت في نفسي هناك مرة أولى لكل شيء، وان لم ابدأ اليوم لن أبدأ أبداً.. ومن ثم وضعت كل ما كان لدينا في المطبخ من دجاج وأرز وخضار وتوابل في القدر وتركت أمره لله.

وكانت المفاجأة عندما قدمنا هذه (اللخبطة) مع بعض المأكولات الجاهزة التي كانت لدينا، حيث ان الضيوف لم يكونوا يتذوقون إلا هذه اللخبطة باعتبارها من الأكلات الشرقية اللذيذة مع انها لم تكن لها أي صلة بالشرق!!

وكنت متأكداً انهم لو طلبوها مرة أخرى لما عرفت أن أعيدها،

وبالطبع كان الضيوف يأكلون ويشيدون بالطباخ، وكلما حاول الاخوان الاشارة إلي باعتباري صاحب الخلطة طلبت منهم الانتظار إلى الغد والدعاء معي ألا تكون هناك مضاعفات!!

أما الموقف الثاني الذي جال في خاطري فكان عندما نصح أحد الأطباء صديقا لي باتباع نظام غذائي لفترة قصيرة، فقرر ان يذهب إلى مصحة بقرية صغيرة في احدى الدول الأوروبية.

يقول الصديق كان الأمر أصعب مما توقعت إذ كان علي الالتزام بمواعيد محددة للأكل وإذا تأخرت عنها، لا يسعني إلا ان أرضى ببعض الفواكه، وحتى عندما أذهب في المواعيد المذكورة كان ما يقدمونه لي لا يشجع كثيراً على الأكل خاصة أنني أحب أكلنا الطيب وتعودت عليه.

هكذا ورغماً عني تحملت الوضع لمدة أسبوعين إلى ان زارني أحد الأصدقاء وعرض علي الذهاب معه للعشاء، عند صديق له من أهل تلك البلدة، قلت في نفسي: فرجت سوف أتناول اليوم وجبة كاملة دسمة، ولم أذهب للغداء ذلك اليوم في المصحة، واكتفيت بالفواكه على ان أعوض ذلك في العزومة المنتظرة على العشاء، وعند وصولنا إلى بيت مضيفنا، استغربت وجوده وحده، وكأنه لم يلب دعوته غيرنا، وكان الرجل يعتذر لنا في كل برهة عن تأخر زوجته التي كانت ستسر بمعرفتنا كثيرا، مع ذلك لم يدخر صاحبنا جهدا حيث قدم لنا كل ما لذ وطاب من المشروبات والعصير والشاي والقهوة..

وأنا عازف عن التقرب منها في انتظار الوليمة التي لم يكن هناك شيء يدل على وجودها!!

تأخر الوقت وبدأ صاحبنا يتثاءب ويتكلم لنا عن برنامج عمله المزدحم غداً، فقلت لصديقي دعنا نستأذن، لا جدوى من بقائنا هنا، علّنا نلحق أي مطعم قبل الاغلاق، وبالفعل خرجنا لنطوف البلدة كلها لكننا لم نجد أي مطعم مفتوح، ولم نكن نسمع إلا عبارة.. آسفين الوقت متأخر.

قلت له: دعنا على الأقل نذهب إلى المصحة لعلنا نجد هناك بعض الفاكهة، ولكن حتى مطعم المصحة قد انتهت خدماته أيضا، وبانفعال قلت لصديقي: لا بارك الله في صديقك، ولا في عزومته، وعفت الريجيم إلى الأبد وعجلت بالعودة إلى البلاد.

الفصل الثالث

نوافذ على العالم

الحسناوات ..
و(البدل) الجميلة

كنت وزميل لي في زيارة رسمية الى اليابان، وقبل رجوعنا أصر على الذهاب الى مدينة (...) للتسوق، حاولت إثناءه عن رأيه واقناعه بشتى الطرق للتخلي عن الفكرة، الا انه لم يقتنع.. أخبرته بأني لا أحب هذه المدينة ولا أتسوق منها، لقد زرتها مرة واحدة فاكتشفت ان المدينة بمجملها قابلة للبيع والشراء، يباع كل شيء فيها.. مدينة لا تعرف الممنوعات.. الغش فيها صفة التجارة والتجار، وبصراحة فأنا أنزعج عندما يشبهها البعض بمدينة دبي (مع ان دبي في ذلك الوقت لم تكن كما هي عليه الآن).

مع ذلك أصر على رأيه، ومع اصراره وافقت على مرافقته شريطة ان تكون الرحلة ليوم واحد، وألا أخرج فيه من الفندق، واتفقنا على ذلك.

وصلنا الى تلك المدينة في الصباح الباكر وكان علينا ان نتركها مساء اليوم نفسه، وخرج صديقي للتسوق، وبقيت أنا في غرفة الفندق.

وعندما رجع بدأ يحكي لي ما جرى له خلال هذه الساعات التي قضاها في المدينة (وكان يبدو عليه التوتر مع شيء من السعادة في آن واحد)، وقال: تخيل، ذهبت الى الخياط فوجدت لديه أنواعا من الأقمشة الانجليزية الفاخرة، وفصلت على الفور بدلتين سلمني اياهما خلال ساعات، وبسعر رخيص جدا، وها هما الآن معي. ألا تعتقد انها سرعة في الانجاز والاتقان؟ بدل جميلة وأنيقة وبهذه السرعة الفائقة..

وتابع حديثه قائلا: ومع ذلك فهذا ليس كل شيء، سأحكي لك الجزء الآخر من القصة.. بعد خروجي من عند الخياط مع موعد باستلام البدل بعد ساعات، ذهبت لأشتري هدايا للأولاد، وكنت أتجول بين محل وآخر، فوقعت عيني على مقهى جميل جدا، انبهرت بواجهته والديكور المتميز، وعندما فتح لي الباب انبهرت أكثر بالمضيفات الجميلات.. بنات في عمر الزهور، ملكات جمال.. أما عن لبسهن فلا تسأل، وهكذا شدني المقهى فجلست على أول طاولة، وطلبت طلبي.. فجأة وجدت من يشاركني الطاولة، ثلاث بنات جميلات جئن دون

استئذان وبدون مقدمات وجلسن معي، وعلى الفور طلبن الطلبات من المقهى وعلى الفور لبت المضيفات طلباتهن.. وجلسنا معاً.. ضحكة من هذه، ونكتة من اخرى، وثالثة تتحدث معي وكأنها تعرفني منذ زمن بعيد مع انه لم يمر على جلوسها معي أكثر من دقائق تتحدث معي الانجليزية بطلاقة وبأسلوب أقرب الى الاصدقاء، وأنا مندهش ومنفعل في آن واحد.. ظننت اني أصبحت (دون جوان عصري) مع انني أسمر اللون. قلت في نفسي قد تكون معجبة بسمار لوني أو بأناقتي، أو ربما جذبها أنفي الكبير.. كل هذا كان يدور في ذهني وأنا في هذه الحالة، وهن يطلبن طلبا تلو الآخر.

مضى الوقت سريعا مع تلك الضحكات الجميلة والهمسات الغريبة، وبعد مضي ساعة غادرن الطاولة وقلن لي: مع السلامة، الى اللقاء.. مع اني لم أتوقع لقاء آخر، حيث لا وقت لديّ، ولا أعرف عنوانهن.. تركن المقهى الى الخارج، وقبل خروجهن ذهبت الفتاة التي كانت بجانبي لدفع الفاتورة أو هكذا بدا لي، وتخيلت انها دفعت حسابي ايضا، ومع ذلك طلبت الفاتورة فأصابني الذهول والاندهاش عندما عرفت ان عليّ ان أدفع ما يعادل 500 دولار أمريكي مضافاً عليها مبلغاً آخر رسوم خدمة.. أبديت اعتراضي وسألتهم: لماذا هذه المبالغة؟ أنا لم أشرب الا كوبا من العصير.. وجاء الجواب ان فاتورة تلك الفتيات وما شربن كان على حسابي.. سألت لماذا أدفع فاتورتهن؟ فأجابوا: لقد جلسن على طاولتك ولم تمانع.. قلت: لكني لم أدعوهن!! فقالوا: هذا أمر يخصك!! قلت: لماذا لم تنبهوني؟ قالوا:

هذا ليس من اختصاصنا، كان عليك ألا تسمح لهن بالجلوس، اعتقدنا ان الفتيات الجميلات صديقاتك.. انهن حقا جميلات، حظا سعيدا.. قلت: لكني لا أعرفهن. فأجابوا: المهم الآن ان تدفع الفاتورة.. عندها شعرت ان الأمر كان مدبرا، وأدركت انه فخ، ولكن يا حسرة بعد فوات الأوان، فعندما عرفت ان الموضوع سيصل الى الشرطة، فضلت ان أدفع الفاتورة التي كان لابد من دفعها.

لم يكن لديّ وقت بعد ذلك ولا حتى نقود لشراء هدايا، فذهبت الى الخياط لأستلم البدل، على الأقل هذا هو المكسب، وسألني بعد ان أخرج البدل: أليست جميلة؟ قلت له: نعم انها جميلة وبسعر معقول جدا.. فأجابني: ومع ذلك أوافقك الرأي بأن الابتعاد عن هذه المدينة أسلم لنا.. وهكذا غادرنا الفندق ورجعنا الى البلاد.

وبعد حوالي شهر من وصولنا البلد فوجئت بذلك الصديق يدخل على مكتبي وبيده كيس صغير. قلت له: ماذا بك يا فلان؟ قال: أتذكر تلك البدل التي اشتريتها في آخر سفرة لنا؟.. قلت له: نعم. قال: انها في هذا الكيس الصغير الذي تراه، تصور انني بعد ان أرسلتها للغسيل وجدتها لا تصلح حتى لأولادي الصغار، لقد تقلص حجمها، مع ان أطراف كل قطعة من القماش مكتوب عليه (صنع في بريطانيا)!!

وأضاف صديقي: لقد كنت أتصور ان ما أهدرته من دولارات بسبب تصرفاتي الغبية، عوضته بهذه البدل، أما الآن فأنا اعترف بأني كنت مغفلا في الاثنين معا، وانك كنت على حق!!

المارد الخفي
وقشور البطيخ

اذا كانت عظمة الدول تقاس برصيدها الحضاري وثرواتها الانسانية، فإن الصين تعتبر من أغنى دول العالم، حيث انها وبرغم كل الظروف القاسية التي تنازعتها خلال سنوات طويلة الا ان شعبها عرف كيف يتغلب على المشاكل، وكيف يتفادى جميع مظاهرها.

ولقد كان اجدادنا يضربون الامثال بهذا البلد، ويأتون بالاقاويل والاساطير عن هذا الشعب الذي اتسم بالاجتهاد والمثابرة واتقان

العمل مستندا في ذلك على عراقة وتاريخ وحضارة استمرت لقرون طويلة.

ان ما كتب عن الصين كثير وكثير جدا، لكني لم اعرف عنها الا القليل، لذا فإنني سررت جدا عندما أتيحت لي الفرصة ودعيت اليها في زيارة رسمية، انها بلد المارد الخفي وبلد الالف مليون نسمة. بلد الحضارات المختلفة والثقافات الغنية بالتراث منذ الاف السنين، ومعالمها خير دليل وشاهد على ذلك.

كانت زيارة سور الصين العظيم إحدى عجائب الدنيا ضمن برنامجنا فمن لم يزر هذا السور فكأنه لم يزر الصين أبدا أو هكذا يقول الصينيون.. هناك آلاف من السياح الاجانب والصحفيين والمصورين يزورونه بشكل يومي، شاهدنا الكثير منهم مع ان الرحلة كانت في بداية عهد الانفتاح.

اثناء الزيارة تجولنا في عدة مدن وعلى رأسها العاصمة «بكين» وكبرى مدنها «شنغهاي» ومع ذلك لم نخرج بأكثر من غيرنا عن طبيعة هذه البلاد التي تمكنت من العمل بفاعلية قصوى من أجل توازن ورفع مستوى الانتاج.

ان أهم مالفت نظري في مدينة «بكين» العاصمة تلك القصور المتميزة لأباطرة الصين والتي تعتبر شاهدا على تاريخ هذا الشعب، ومدينة بكين حاليا مدينة عصرية لكنها من نوع مختلف وأهم وسائل النقل فيها الدراجات الهوائية والتي تصل اعدادها كما قال مرافقنا الى 20

مليون دراجة وهذه ميزة جيدة بلا شك للمدن ولوسائل النقل فيها خصوصا اذا كان عددها بهذه الضخامة فهي بكل تأكيد تبعد العاصمة عن التلوث، فلكم ان تتخيلوا لو كان هذا العدد من السيارات كيف سيكون وضع المدينة؟

اما المدينة الثانية «شنغهاي» فهي مدينة صناعية تشكو من التلوث الى حد ما، وفيها اكبر ميناء تجاري في المنطقة ومكتظة بالسكان، وبها فنادق ضخمة وجسور، وكما قيل لنا فإن بها اطول جسر في العالم.. ويزيد عدد سكانها على 25 مليون نسمة. أي دولة داخل دولة!

كان الاستقبال في الصين استقبالا رائعا، فيه من كرم الضيافة الشرقية مع الاصالة الصينية الشيء الكثير، وكان طوال مدة الزيارة يرافقنا شخصان يتحدثان اللغة العربية بطلاقة واحدهم اسمه «سعيد» واعتقدنا أنه من أصل عربي او مسلم، حتى عرفنا منه ان اسمه الحقيقي هو «شينج فوبوكا» وقام بترجمته الى العربية تسهيلا لنا!!

وفي لقائنا مع عمدة «شنغهاي» الذي رحب بنا أجمل ترحيب، وناقشنا معه وضع المدن ومشاكلها ومستقبلها، ودور البلديات وأهم التحديات التي سوف تواجهها خصوصا المدن الكبيرة مثل «شنغهاي».. وفي حفل الغداء الذي اقامه العمدة على شرف الوفد الزائر، تحدثنا عن أمور كثيرة بعيدة عن العمل ومنها الأكلات

الصينية الشهيرة على مستوى العالم، والأكلات الشعبية داخل الصين.

وفجأة قال لنا العمدة: استمرارا لحديثنا الصباحي عن المدن، هل تعرفون ماهي اكبر مشكلة تقلق بالنا ـ نحن المسؤولين ـ عن مدينة «شنغهاي»؟! قلنا: ماهي هذه المشكلة المؤرقة؟.. اجاب وهو يحمل في يده قطعة من البطيخ: مخلفات قشور هذا البطيخ!! وسألنا: هل لديكم حل لهذه المشكلة؟ وقبل ان يسمع الاجابة منا.. تابع حديثه قائلا: ان أرخص وأحلى فاكهة في الصين هي البطيخ.. والشعب الصيني مولع بأكله وبالتالي فإن الناتج عن مخلفات قشور البطيخ يساوي اكثر من 25 مليون كيلو في اليوم الواحد.. فقط!

..ترى هل لديكم فكرة او نظام للتخلص منها والقضاء على هذه المخلفات؟

فوجئنا بهذا السؤال.. واعتبرناها نكتة وضحكنا لسببين الاول: على هذه المشكلة الضخمة، والثاني وهو الاهم: انه لم يخطر ببال العمدة ان هذه الكميات من البطيخ لايستهلكها شعب الامارات خلال عشرين عاما!!

الانسان عجول

هكذا قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وكان الانسان عجولا» (الاسراء: 11). صدق الله العظيم.

لكن صاحبنا هذا أعجل من العجلة، وأعجل من كل من عرفتهم، وحتى تعرف طبائع الأشخاص، لابد من السفر أو التعامل معهم، وكما يقول المثل: هل تعرف فلانا؟ نعم، هل سافرت معه؟ لا. هل تعاملت معه؟ لا. اذن أنت لا تعرفه.

كنا في زيارة رسمية مع مجموعة من الزملاء الى الصين، وعند رجوعنا، مكثنا يومين في احدى مدن شرق آسيا للاستراحة وتغيير الطائرة، كانت هذه أول زيارة لي الى هذه المدينة، وكنت أتمنى أن تكون الأخيرة.

بعد ان قضينا ليلة في المدينة، كان علينا مغادرة الفندق في الساعة الخامسة مساء من اليوم التالي، ويوم مغادرتنا في الساعة الثانية عشرة ظهرا، نزلت الى المطعم للغداء وكان جميع أعضاء الوفد هناك، فاستغربت عندما رأيتهم مجتمعين حول بعضهم ويتحدثون بصوت عال.. كعادتنا نحن العرب. سألتهم: ماذا جرى؟.. وما هذه الانفعالات على الوجوه؟.. هل ضاع منكم شيء؟

قال صاحبنا العجول: نعم، انه زميلنا فلان!، خرج ولم يرجع بعد ونحن في انتظاره والطائرة ستطير بعد ساعات، وبقية أعضاء الوفد يحاولون اقناعه بأن الوقت مازال مبكرا.

قلت له: يا أخي العزيز الساعة الآن الثانية عشرة ظهرا، وميعاد تركنا الفندق الساعة الخامسة، إذن لدينا متسع من الوقت، لكنه كان مضطربا وعجولا كعادته، وقال: هذا ليس المهم، وسواء حضر أم لم يحضر، نحن على عجلة، والمهم ان أوراقنا الرسمية «جوازات سفرنا والتذاكر» كلها معه، لقد سلمناها له البارحة، ماذا جرى له؟.. والى أين ذهب؟

وبعد جهد كبير أقنعناه بأن نطلب الغداء وننتظره وحتما سيأتي في الوقت المناسب، طلبنا الأكل، لكن صاحبنا لا

صبر لديه، تركنا وذهب دون ان نعرف الى أين؟ وبعد دقائق جاءنا مدير الفندق ومعه صاحبنا «العجول»، وقال: زميلكم هذا يشتكي من شيء لم نستطع ان نعرف ما هو، فهو منفعل ولم نعرف كيف نتفاهم معه!! أرجو من أحدكم ترجمة ماذا يريد صاحبكم.

حاولنا اقناع صاحبنا وتهدئته، لكنه أصر على ان نشرح لمدير الفندق بأن أحد زملائنا قد اختفى أو ربما أختطف، ففي هذه المدينة ليس غريبا ان يحدث ذلك!

هكذا وباصرار منه طلب المدير رجال أمن الفندق ومن ثم تم ابلاغ مركز الشرطة، وحصل هرج ومرج في الفندق، وحضرت مجموعة من رجال الشرطة، وصاحبنا يقول: لقد تأخرنا على السفر مع ان الوقت كان مبكرا، لكن هو كذلك، عجول كعادته، لم يترك لنا مجالا للكلام.

في هذه الأثناء والاتصالات جارية بين رجال الأمن ومراكز الشرطة، ظهر زميلنا المختفي يمشي وسط مجموعة كبيرة من سكان المدينة المارين أمام الفندق، وهو يتمشى بكل طمأنينة ويحمل مجموعة من الأكياس مليئة بالمشتريات.

هلّل وكبّر صاحبنا العجول قائلا: ظهر وبان فلان. استغرب زميلنا المختفي، ماذا بكم؟ فبادره قائلا: الحمد لله على سلامتك، فأجاب: لقد ذهبت الى السوق والوقت مازال

مبكرا للمغادرة، ولماذا كل هذا الانزعاج؟
وباستغراب أكبر، سألنا الضابط: أهذا هو صاحبكم المفقود؟ قلنا: نعم. قال: بالله عليكم ماذا أقول لكم يا عرب.. كيف يختفي هذا العملاق بين أهالي هذه المدينة وهو بهذا الحجم والطول وبهذا اللون وهم يبدون أمامه كالأقزام؟ ومن الذي يستطيع اختطافه؟ واذا تمكنوا من ذلك، أين سيخبئونه؟.. ان صاحبكم هذا يحتاج الى كل أهالي المدينة لكي يتمكنوا منه!
لقد كان زميلنا طويل القامة، أسمر اللون، وكان الضابط محقا في قوله، لكن عجلة صاحبنا، سامحه الله، أوصلتنا الى هذا الموقف المضحك!!

أمن الفرد
أم أمن المجتمع؟

في احدى الجلسات الخاصة دار نقاش طويل حول مفهوم الامن والامان في البلدان النامية، وهل الامن مفهوم ينطبق على البلاد ام الافراد؟! فاتفق جميع الحضور ان امن البلاد اهم بكثير من امن الفرد، لان امن البلاد يعني امن المجتمع وهو الغطاء الذي يندرج تحته الفرد، ومهما كان شأنه فانه آمن ضمن المجتمع ما دام الامن موجودا فيه...

وتساءل احد الاخوة الحضور وهو عربي الجنسية بشيء

من التعجب: اني ارى في بلدكم الشيوخ والوزراء وكبار المسؤولين يقودون سياراتهم بأنفسهم دون سائقين او رجال امن اللهم الا بعض المقربين منهم، واكثر من ذلك فقد شاهدتهم يتجولون داخل المدينة وفي اماكن عامة... وكان ردنا جميعاً بأن هذا الامر طبيعي جداً بالنسبة لنا وهكذا عاش من قبل آباؤهم واجدادهم.

فأجاب: لكن الزمن تغير، ونحن نعيش في عصر مختلف عما كان عليه اسلافنا... واستمر قائلاً: في بعض البلدان النامية تجد جميع رجالات الدولة صغاراً كانوا ام كباراً لا يتحركون بدون حراسة اما في بعض بلداننا العربية فان كل ضابط برتبة عقيد يحرسه عشرة رجال من الامن، ونفس العدد لحراسة عائلته وبيته، واحياناً حتى الشارع الذي يسكن فيه... اهو احساس بعدم الامان ام انها موضة العصر؟ تخيلوا معي قد يكون ربع سكان هذا البلد رجال أمن يسهرون على امن هؤلاء المسؤولين، اذن بالله عليكم من يسهر على امن البلاد!!

** وتواصل الحديث فحكى زميل آخر لنا موقفاً مر عليه حين دعي الى احدى الدول لحضور مؤتمر دولي فقال: وانا في طريقي من مقر اقامتي الى مكان انعقاد المؤتمر، استغربت الزحمة الشديدة التي كانت في الطريق وفي هذا

الـوقت المبـكر وتـواجد اعـداد كبيرة مـن الشـرطة ورجال الامـن علـى امـتـداد الشـارع يـأمـرون سـائقـي السـيـارات بالتوقف لان هناك موكباً لشخصية مهمة سوف تمر من هذا الطريق بعد قليل...

ويتابع زميلنا حديثه قائلاً: طال انتظارنا وخشيت ان اصل مـتـأخـراً في اول يـوم مـن ايـام الاجـتـمـاع واتـهـم كـعـربـي بالاستهتار وعدم الدقة في المواعيد، لكني قلت ربما يكون هذا الموكب لضيف كبير. وربما الجميع على علم بذلك وسوف يتأخرون ايضا، اذن عذري معي...

وبدأ الموكب الرسمي يمر امامنا فسألت احد الواقفين من هو هذا الضيف؟ قال انه ليس ضيفاً، انه معالي وزير «...» في طـريـقـه الى مـكـتـبـه... قلت في نـفـسـي بـعـد ان مـلأني العجب: ايحتاج رجل عادي جعلته الايام وزيراً الى كل هذه الرسميات، ويتسبب في تعطيل حركة السير والاضرار بمصالح الناس!! ترى من اعطاه هذا الحق؟! اليس من المفترض ان يكون قدوة للآخرين!

هكذا يقاس الامن في بعض الدول. وينظر الى ان امن الفرد هو جزء من امن المجتمع...

وفي سياق الحديث نفسه تابع زميل آخر موقفا آخر فقال: اني اعجب من بعض الدول التي تولي اهتماماً بالغاً بأمن

الفرد، وتجعل كل من يزورها يشعر بعدم الامان عوضاً عن العكس، وهذا ما حصل لي في احدى الدول حيث كانت في استقبالي منذ وصولي سيارتان واحدة لتنقلاتي والاخرى تضم رجال امن لحراستي، وحاولت اقناعهم بعدم لزوم ذلك لكنهم ابوا وقالوا انها الاوامر!! وعند وصولي الى الفندق قلت في نفسي انهم بكل تأكيد سيصرفون النظر عن الحراسة بعد ان اطمأنوا لوصولي إلى الفندق، وعلى الفور شكرتهم وطلبت منهم الانصراف على ان ادعوهم في حالة الضرورة... وبعدما ارتحت قليلاً قررت ان انزل الى صالة الرياضة، وبينما انا متجه اليها لفت انتباهي شخصان غريبان يتبعاني في كل خطواتي بشكل مريب حتى داخلني الشك في امرهم، وتندمت لاني لم اسمح لرجال الامن بالبقاء معي ظناً مني بأنهم كانوا على حق... ذهبت بسرعة ناحية الاستقبال وطلبت من الموظف ان يستفسر عن امرهم فقال لي: انهم من رجال الامن وهم هنا للاطمئنان على سلامتك!!

ولانه لم يكن لي بد الا القبول بهذا الامر الذي لا مفر منه حاولت ان اتجاهل وجودهم طوال مدة اقامتي لسبب واحد وهو الخشية من ان اتعود على ذلك واستخدم مجموعة من الـ «Body Gard» عند رجوعي الى بلادي!!

شرطة.. ومخالفات

هكذا عودنا رجال المرور بشرطة دبي، البدء بالسلام ثم كلمة سيدي .. ثم الموضوع.
هذه المقدمة البسيطة تذكرتها عندما اخذ احد كبار المسؤولين في البلديات يحكي لنا عن موقف تعرض له فقال: في يوم من الايام اوقفت سيارتي في موقف ممنوع ودخلت إلى محل لبضع دقائق، وعندما خرجت وجدت شرطي المرور بجانب سيارتي يريد ان يحرر لي مخالفة، وهذا امر طبيعي ومن حقه ان يفعل ذلك، سألني: سيدي أهذه سيارتك؟ اجبته: نعم، قال: انت تقف

في مكان ممنوع، اجبته: اعرف ذلك، وانا متأسف جدا لقد كنت مستعجلا، قال: اين ملكية السيارة ورخصة السواقة؟ وبالطبع اخرجت له ما طلب.
ونظر إلي ثم قال: انت مسؤول في البلدية حسب ما هو مدون في الرخصة يا سيدي، قلت له: نعم هذا صحيح، فقال: انتم اذن تجهزون هذه المواقف، وتصدرون القوانين فمن المفروض ان تكونوا قدوة للاخرين، أمن المعقول ان تخالفوا قوانينكم؟ ولكن مع ذلك تفضل يا سيدي الرخصة والملكية مع احترام وتقدير قيادة الشرطة.
وتابع صاحبنا الحديث وهو يقول: صدقوني كان اهون علي لو طلب مني الشرطي دفع الغرامة مهما كانت قيمتها وكنت مستعدا لذلك بدلا من الاحراج الشديد الذي وضعني فيه بأسلوب كلامه وطريقة تعامله، ان هذا الشرطي البسيط علمني درسا في كيفية تطبيق القانون والنظام وسلوك التعامل مع الاخرين لن انساه في حياتي.
وبانتهاء صاحبنا من ذكر هذا الموقف تذكرت موقفا اخر تعرض له احد الزملاء في احدى الدول الاوروبية عندما كان يقود سيارته فتعدى الاشارة الضوئية وهي حمراء، وبعد مسافة قصيرة أوقفه شرطي المرور وسأله عن الرخصة، فقام باخراجها وبعد ان تسلمها الشرطي قال له: انك قطعت الاشارة وهي

حمراء، ومع ان زميلي كان يدرك ذلك الا انه رد عليه قائلا: لا بل كانت خضراء، قال الشرطي: بل كانت حمراء، واصر الرجل: لا بل خضراء، واكد الشرطي كلامه قائلا: بل حمراء، فقال زميلي: انت تقول حمراء وانا اصدقك في ذلك، ولكني رأيتها خضراء اذن ما رأيك نرجع إلى الخلف لنراها ان كانت خضراء أم حمراء؟ ضحك الشرطي وقال: سيدي اني أحيي فيك روح «النكتة» وارجو منك عدم تكرار مثل هذه المخالفة، امض في طريقك، وقال زميلي: شكرا، اذا كانت شرطة المرور في بلدكم تعامل الناس بهذا الاسلوب لن تجدوا ابدا من يكرر المخالفة.

اما الموضوع الاخر فكان عندما كنت اقود سيارتي في مدينة (....) فاستوقفني شرطي المرور بصافرته التقليدية «المشهورة» وقال: سيدي انت مخالف؟ اجبته: كيف وما هي المخالفة، فرد قائلا: لم تقف عند لوحة اشارات الوقوف، قلت له: الشارع خال من السيارات وانا متأكد من ذلك حيث التفت يمينا وشمالا، فلم ار سيارة لذلك استمريت في السير، قال الشرطي: وحتى لو كان الامر كذلك فالوقوف اجباري عند اللوحة حسب قانوننا، قلت له: انا متأسف لكني لم اكن اعرف ذلك، اجاب: الان وقد عرفت، اعطني رخصتك وملكية السيارة، سلمتهم له فقال: هذه رخصة دولية والسيارة مؤجرة، قلت له نعم، فقال: انت مخالف وسأحرر لك مخالفة، قلت: انا مستعد لدفعها الان، فقال: لا، بل

عليك ان تدفعها هناك، قلت: اتستحق هذه المخالفة البسيطة كل هذا؟!

هز رأسه ضاحكا، فواصلت كلامي: ايها الشرطي العزيز هذه هي الرخصة خذها وافعل بها ما تشاء فأنا إن شاء الله مسافر غدا، سألني متعجبا، وكيف ستقود سيارتك في بلدك؟ فاجبته: هذه الرخصة دولية وانا لا احتاج اليها هناك، وان حصل سوف استخرج بدل فاقد، والان عليك ان تقبل باحد الامرين: ان ادفع لك الغرامة الان أو ان تعطيني الرخصة والملكية مشكورا، هز رأسه مرة اخرى وكأنه ادرك بأنني كنت على حق في طلبي بالرغم من اني خالفت نظام المرور عندهم وقال: كلها قوانين وانظمة بالية، خذ اوراقك ورافقتك السلامة.

تلك التي احببتها

بعد ان شرحت لصديقي العربي قصتي معها وحبي لها، وتجولت معه في كل جزء منها وكل موقع متميز فيها ـ مع انها كلها متميزة ـ وكيف كانت وأين اصبحت، وكلما وضحت له مزاياها طلب مني المزيد وهو منبهر بجمالها وأناقتها ونظافتها، قال: بعيدا عن «أعين الحساد» اتحبها لهذه الدرجة؟ قلت نعم فهي مدينة استثنائية ولدت في بلد الحب والعطاء ولدت في زمن التحدي والعزيمة واقتحمت دائرة الضوء، وأوجدت لنفسها موقعا تتميز به عن مثيلاتها وتحتفظ بشرقيتها لتتماشى مع

تطورات العصر، فهي تجمع بين حضارة نهاية القرن العشرين وذكريات صدى وبصمة الاجداد الذين ارسوا دعائمها واسهموا في بناء اسرة كبيرة متماسكة، ودأبوا على نشر القيم والطموح لدفع كل فرد فيها إلى السعي والابداع، هي لا تدخر جهدا لاسعاد من حولها، وتذهلنا دائما بنظافتها وابداعاتها في شتى المجالات، ودقة عمل كل من يعيش على ارضها، فهي تنبض خيرا وتنثره من حولها.

هي الملهمة ونحن نستمد منها الدوافع للعمل الجاد والاخلاص، كل في مجال اختصاصه، هي اعطتنا وتعطينا كل يوم، هي الأم الحنون التي تحتضن اطفال العالم، هي الودود التي تستقبل بحنانها كل من يزورها وتجعلهم يكتشفون اسرار الطبيعة والحياة بداخلها، ويقدرون اهمية التناغم بين الجمال والامن، وبين الحب والعطاء وبين الالتزام بالقيم والاحترام المتبادل بين الارادة والعزيمة، فيها يعيش الفقير قبل الغني، لا تفرق بين انسان وانسان هي المعطاءة بلا حدود، والجميع يعيش على ارضها بسلام ودون خوف، يتقبلون كل ما يصدر عنها من الالتزامات بصدر رحب من اجل الحفاظ عليها.

قال صديقي العربي: فعلا هي مدينة القرن المقبل يجد فيها الزائر والساكن على حد سواء كل ما يتمناه من خدمات متكاملة وحسن معاملة، هي مدينة ترضي الجميع بما لديها من الامكانيات

السياحية والتجارية، بدءا بشواطئها الجميلة وحدائقها المتناسقة، ومراكزها التجارية، وفنادقها المتعددة، وبناياتها الشاهقة بطابعها المعماري الحديث الذي تضاهي به الدول المتقدمة، ولا ننسى المباني الاثرية التي تم ترميمها وتزيينها لتنير ليلا المباني المطلة على خورها الجميل.

وأخيرا عروضها الشيقة التي تتمثل في سباق الهجن العربية الاصيلة الفريد من نوعه وكذلك بطولاتها العالمية في سباق الخيول، واندية الجولف المجهزة لتنظيم اكبر البطولات.

وتابع صديقي: لكن كيف استطعتم تحقيق كل هذا في فترة وجيزة؟ كيف ذلك لدرجة ان كل من يتحدث عنها يقارنها بمدن اوروبا، فهي سبقت مدنا كثيرة في دول لها امكانيات وقدرات تفوق امكانياتكم وقدراتكم؟ قلت له: القرار المناسب في الوقت المناسب بشكل يفوق التوقعات من اصحاب القرار الذين يتبعون سياسة الباب المفتوح والقنوات المفتوحة بينهم وبين المسؤولين والمواطنين في كل الاوقات، وهذا ما يتيح الفرصة للابداع والابتكار، ويعطي القوة والدافع للعمل.

هذه هي دبي المدينة المتكاملة في جميع أنشطتها، دبي التي تمتلك القدرات المتميزة والتي اهلتها لتجد مكانا لها بكل ثقة وعزم على خريطة الالفية المقبلة هي حبيبتنا جميعا بلا تردد.

مطابع البيان التجارية ـ هاتف: ٣٤٤٤٤٠٠